ظاهرة الأحرف السبعة في القرآن الكريم ودورها في الحفاظ على اللسان العربي

أ/عبد العزيز شوحة

قسم اللغة العربية - كلية اللغة والأدب العربي والفنون - جامعة باتنة1

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة كثر حولها الجدل قديما وحديثا، وهي ظاهرة "الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم"، بالتعريف بهذه الظاهرة، وسرد أهم الروايات التي وردت عن الرسول ﷺ، وأهم آراء العلماء في تفسيرها، والرأي الراجح حسب ما يراه الباحث مدعوما بالدليل.

والجديد فيه: هو علاقة هذه الأحرف باللهجات العربية، وأن القراءات التي وردت بهذه اللهجات كان لها دور كبير في حفظ اللغة العربية بجميع لهجاتها بسبب سعة تداول النص القرآني، خلافا للشعر، وسائر كلام العرب كما نقلته كتب اللغة والتفسير والقراءات القرآنية على الخصوص.

الكلمات المفتاحية:

الأحرف السبعة، القرآن الكريم، الحفاظ على اللسان العربي

Résumé

Cette recherche trait un phènomane ass ef polémique autre fois tout comene il est de nos joirs; il s'agit des sept lettres de la révélations coranique.

On va définir ce phénomène relater les récitations chadifhes du prophète Bénédictions et saut soient sur lui, qui traitent ce thème, aussi que les plus import antes opinions des lémas (savant) qui l'expliquent et celle, la plus plausible d'après le chercheur, appuiée de preuves.

Ce qui est nouveau, c'est la relations des dites «septs lettres» avec les Les dialectes arabes ; les récitations coraniques présentées dans ces dialectes arabes ; le récitations coraniques présentées dans

ces diactes ouiez un grand role dans la préservations de la langue arube sous ses formes dialectales iru l'imeuce utilisations du texte coranique, contrairement à la poésie et aux autres formes de la parole arabe, tel qu'il est rapport dans les leires de la langue d'interprétation (tafsir) et des récitations coraniques.

1- مقدمة:

شغلت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن بال العلماء منذ القديم، واجتهدوا في تأويلها وتفسيرها وتطبيقها على النص القرآني؛ وقد تناولها بالبحث علماء قدامى ومحدثون؛ أشهرهم من القدامى: ابن قتيبة، والطبري، والرازي، ومن المحدثين عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن"، والدكتور صبحي الصالح في كتابه "مباحث في علوم القرآن"، والدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه "تاريخ القرآن"، كما خصها علماء آخرون بأبحاث خاصة وأنا في هذا المقال سأعرف بهذه الظاهرة وأورد أهم ما ورد فيها من روايات منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وآراء العلماء القدامى في ضوء ما قاله المحدثون والمعاصرون.

وسأحاول بيان دور هذه الأحرف السبعة في الحفاظ على اللسان العربي في جميع لهجاته، ولولا القراءات القرآنية التي وردت بها لضاع كثير من تلك اللهجات، التي اندثرت الآن ولم تبق إلا في العاميات العربية، ونجدها في كتب التفسير والقراءات القرآنية وكتب علوم القرآن والمعاجم وكتب اللغة وتكفي مراجعة كتاب "اللهجات العربية في التراث" لعلم الدين الجندي، وكتاب "لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه" للدكتور إسماعيل محمود كمثال للتأكد من صحة تلك النظرية.

2- إشكالية البحث:

يعالج هذا المقال ظاهرة الأحرف السبعة في القرآن الكريم ومعناها، وما هي الروايات التي وردت فيها؟ وما آراء العلماء في تفسيرها؟ وأي منها ينسجم مع الواقع الذي أفرزه تعدد القراءات القرآنية الناجمة عن هذه الأحرف السبعة؟ وما علاقتها باللهجات ولغات العرب؟ وما دورها في حفظ اللسان العربي بجميع لهجاته وإثراء اللغة العربية والحفاظ على استعمالاتها المتنوعة؟

3- الدراسات السابقة في الموضوع:

تناول هذا الموضوع عدد غفير من العلماء القدامى والمحدثين، ممن أشرت إليهم في المقدمة، وممن خصه بالتأليف الدكتور حسن ضياء الدين عتر في كتابه

"الأحرف السبعة ومنزلة القراءة بها"، وفتحي بن الطيب خماسي في كتابه "الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات القرآنية"، والدكتور عبد الغفور مصطفى في رسالة دكتوراه استغرقت عشرين سنة لإنجازها بعنوان "القرآن والقراءات والأحرف السبعة" في مجلدين، غير أن ما سأضيفه في هذا البحث هو علاقة الأحرف باللهجات واللغات التي وردت بها القراءات القرآنية؛ التي هي ثمرة لتنوع هذه الأحرف ونتيجة لها.

4- المنهج المتبع:

هو المنهج الوصفي الذي يستقري المادة العلمية ويجعلها أساسا للحكم على مختلف الآراء، باعتبار أن الاستقراء أدق طريقة للتعرف على الحقائق العلمية خصوصا في العلوم اللغوية والإنسانية، بل حتى في العلوم التجريبية والدقيقة.

أولا: معنى الأحرف في اللغة والاصطلاح:

للحرف معان عديدة ذكرتها معاجم اللغة، ومنها على سبيل المثال ما جاء في القاموس المحيط في تعريف الحرف إذ ورد فيه: "الحرف من كل شيء طرفُهُ وشفيره وحَدُّهُ، والحرف من الجبل أعلاه المحدب جمعه كعنب، ولا نظير له سوى طِل وطَلَلٌ، وواحد حروف التهجي، والناقة الضامرة أو المهزولة، أو العظيمة، وهذيل الماء... والحرف عند النحاة: ما ليس باسم ولا فعل، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) [الحج: 11]؛ أي وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء والضراء، أو على شك أو على طمأنينة على أمره، أي يدخل متمكنا، "نزل القرآن على سبعة أحرف" سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، وإن جاء على سبعة أوجه أو عشرة أو أكثر، ولكن المعنى هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن الكريم"[1].

والمعنى الذي له علاقة بالمعنى الاصطلاحي عند علماء القرآن والقراءات، هو الحرف بمعنى الوجه، وتفسير الأحرف بأنها اللغات فقط مسألة فيها نظر كما سنرى، لأن الاستقراء يدل على أن كثيرا من القراءات التي هي ثمرة اختلاف هذه الأحرف لا يرجع لاختلاف في هذه اللغات واللهجات فقط وإنما إلى أسباب أخرى كما سنرى في هذا البحث.

ثانيا: أهم الروايات في الأحرف السبعة:

وأورد هنا الروايات الواردة في الأحرف السبعة، وهي:

1- عن عثمان رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر: أذكر الله رجلا سمع من النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، لما لَمَا قَامَ، فقال: فقاموا حتى لم يحصوا فَشَهِدُوا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ»، فقال عثمان رضي الله عنه: "وأنا أشهد معهم"[2].

2- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة، فبينا أنا في المسجد جالس، إذ سمعت رجلا يقرؤها يخالف قراءتي! فقلت: من علمك هذه السورة؟ فقال رسول الله ﷺ؛ فقلت لا تفارقني حتى تأتي رسول الله فأتيته فقلت يا رسول الله: إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني، فقال رسول الله ﷺ: أقرأ فقرأت فقال: أحسنت! ثم قال للرجل: اقرأ فقرأ مخالفا لقراءتي، فقال له رسول الله ﷺ أحسنت! ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبي إِنَّهُ أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»[3].

3- وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلة الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية فيها ظهر وبطن»[4].

4- وعن عبد الله بنِ مَسْعُودٍ قال: قال رسول الله ﷺ "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظَهْرُ وَبَطْنٌ، ولكل حَدٌّ ومَطْلَعٌ"[5].

5- عن أبي بن كعب قال: لَقِيَ رسول الله ﷺ جبريل فقال: "يا جِبْرِيلُ إني بُعِثْتُ إِلَى أُمَةٍ أميينَ فيهم العجوز والشيْخُ الكبيرُ والغُلاَمُ والجَارية، والرجل الذي لم يقرأْ كتابًا قط. قال: يا محمد إن القرآن، أنزل على سبعة أحرُفٍ"[6].

6- أخرج أحمد عن فُلْفُلَةَ الجُعَفِي قال: "فَزِعْتُ فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فَدَخَلْنَا عليهِ، فقال رجل: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا حين راعَنَا هَذَا الخَبَرُ! فقال: إن القرآن نزل على نَبِيّكُمْ ﷺ في سبعة أَبْوَابٍ، على سبعة أحرف، أو قال: حروف، وإن الكتاب قبلة كان يَنْزِلُ من بَابٍ واحِدٍ، على حرفٍ واحِدٍ"[7].

7- عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف عَهَ أَيُّ حَرْفٍ قَرَأْتُم قد أَصَبْتُمْ، فلا تَتَمَارَوُا فِيهِ، فإن المراء فيه كفر"[8].

هذه بعض الروايات، وهناك روايات كثيرة للحديث اجتزأنا فيها بهذه مما يتّسِعُ له المقام في هذا المقال المتواضع.

ثالثا: آراء العلماء في تفسير الأحرف السبعة:

لقد اجتهد العلماء في بيان معنى الأحرف السبعة حتى وصلت وجوه تفسيرها إلى نحو أربعين قولا كما أثبته القرطبي في مقدمة تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، والسيوطي في كتابه الإتقان، ونحن ننتخب من هذه الآراء أربعة آراء لأربعة علماء

هم: ابن قتيبة والطبري والرازي وابن الجزري، نحسب أنهم وفقوا في تفسير هذه الظاهرة العجيبة في القرآن.

أ - رأي ابن قتيبة الدينوري (ت279هـ):

قال: "وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة أوجه:

أولا: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿هَؤلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ و(أَطْهَرَ لَكُمْ) [هود/78]، و﴿هَلْ نُجَازِي إلا الكَفُورُ﴾ و(هَلْ يُجَازَى إلا الكَفُورُ) [سبأ/17]، و﴿يأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْل﴾ و(بالبَخَلِ) [النساء/37]، و﴿فَنَظِرَة إلى مَيْسَرَةٍ﴾ و(مَيْسُرَةٍ) [البقرة/280].

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها، بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارنا﴾ و(رَبَّنَا بَعِّدْ بينَ أسْفارنا) [سبأ/17]، و﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [يوسف/45]، و(بَعْدَ أَمَةٍ).

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: ﴿وانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كيفَ نُنْشِزُها﴾ و(ننشرُها) [البقرة/59]، ونحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمُ﴾ و(فُرِّغَ) [سبأ/23].

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صُورَتَهَا في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله: ﴿إن كانت إلاّ زَقْيَةً﴾ و﴿صَيْحَةً﴾ [يس/29]، و﴿الصُّوفِ المنفوشِ﴾ وكـ﴿العهن﴾ [القارعة/1].

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ونحو قوله: ﴿وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾ في موضع ﴿طَلْحٍ منضُودٍ﴾ [الواقعة/29].

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ الموْتِ بالحَقّ﴾ و(جاءت سَكْرَةُ الحقِّ بالموتِ) [ق/19].

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهم﴾ و﴿ما عَمِلَتْهُ أيديهم﴾ [يس/35]. ونحو قوله: ﴿إن الله هو الغَنِي الحميدُ﴾ و﴿إن اللهَ الغَنِيُ الحَمِيدُ﴾ [لقمان/26][9].

وسنرى أن هذا الرأي سديد، وأن ابن قتيبة يرجع إليه الفضل في السبق به، وما آراء الرازي وابن الجزري وابن تيمية من بعد إلا تعديل لهذا الرأي الذي يقوم

على استقراء الخلاف بين القراءات القرآنية باعتبارها راجعة في تعددها إلى تعدد الأحرف أو الأوجه التي نزل بها القرآن.

ب - رأي الإمام الطبري (ت310هـ)

بعد أن بين أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع كما توهم بعض العلماء، وأنها تمثل فقط بعض القراءات الصحيحة المشهورة، واستخلص من استقراء القراءات القرآنية، والخلافات بينها السبعة، وإنما هي "سبع لغات قال: والسبعة الأحرف هو ما قلنا من أنه الألسن السبعة"[10]. ثم قال: "والدلالة على حجة ما قلناه وأن معنى قول النبي ﷺ «نزل القرآن على سبعة أحرف»؛ إنما هو نزل بسبع لغات كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، وأبي ابن كعب، وسائر من نقلنا الرواية عنهم"[11].

ثم قال: "وأما الألسن الستة التي نزلت القراءة بها فلا حاجة إلى معرفتها لأنا لو عرضناها لم نقرأ اليوم بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها"[12].

وكلام الطبري فيه اضطراب، فكيف ينزل القرآن على سبعة أحرف من الله ثم تلغى بعض الأحرف، ثم إن الروايات التي ذكرناها عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أوردناها من المصادر الحديثية الصحيحة، وهي لا تشير إلى اللغات، كما أن الاستقراء يدل على أن الخلافات القرآنية كما أوضحها ابن قتيبة لا تنحصر في اللغات، وأن اللغات هي أحد هذه الأوجه وحسب، ولذلك فإنا لست مع الدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور التواتي بن التواتي في جعل الأحرف السبعة هي اللغات السبعة، وإلا كيف نفسر الخلاف مثلا بين "بَاعَدَ" و"بَعِّدَ" وبين "وجاءت سكرة الموت بالحق" و"جاءت سكرة الحق بالموت".

ومن الذين قالوا بأنها سبع لغات الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام[13].

ج - رأي أبي الفضل الرازي:

وقد صرح به في كتابه "اللوائح"، ولم يصلنا هذا الكتاب فيما علمت، وقد نقل السيوطي رأيه فقال: "الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف: الأول اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، الثاني اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، والثالث وجوه الإعراب، الرابع النقص والزيادة، الخامس التقديم والتأخير، السادس الإبدال، السابع اختلاف اللغات: كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار ونحو ذلك"[14].

وهذا الرأي في نظري أصح الآراء في تفسير ظاهرة الأحرف السبعة؛ لأنه أضاف الاختلاف في اللهجات إلى الوجوه الستة الأخرى، واللهجات هي التي يقع فيها

التيسير، الذي هو حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف أو وجوه كما روي ذلك عن النبي ﷺ وقد رجحه من العلماء المحدثين فتحي بن الطيب الخماسي[15].

وهو أفضل من رأي ابن الجزري الذي أسقط اختلاف اللغات واللهجات من هذه الأحرف السبعة فقال: "وقد تتبعت صحيح القراءة وشاذها، وضعيفها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها، وذلك أن في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو "بالبُخْلِ" [النساء/31]، أو متغيرة في المعنى فقط نحو "فَتَلَقَّى آدَمُ في رَّبِه كَلِمَاتٍ" [البقرة/37]، وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو "تَبْلُو" و"تتلو" [يونس/30]، أو عكس ذلك نحو "الصراط" و"السراط" [الفاتحة/6]، أو بغيرهما نحو "وامْضُوا" و"اسْعُوا" وإما في التقديم والتأخير نحو "فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُون" [التوبة/11]، أو في الزيادة والنقصان نحو "وَصَّى" [البقرة/132]، فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها"[16].

فهذه الأوجه التي عددها كررت الاختلاف في الإعراب في الوجه الأول والثاني، وهما يرجعان إلى وجه واحد كما أوضح الرازي، كما أنها لا تحقق معنى التيسير كما أوضحت من قبل، الذي يكون بأن يقدر كل بلغته ولهجته، فالتميمي لا يستطيع قراءة (حَتَّى حِينَ) فيقرأ (عَتَّى عِين).

والغريب أن ابن الجزري أسقط هذا الوجه معللا ذلك بقوله: "وما اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشهام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتحقيق والتسهيل، والإبدال والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا"[17]. فالتنوع ليس شرطا أن يكون في اللفظ والمعنى فقط، بل قد يكون في اللفظ وحده كقراءة (تِعْلَمُونَ) و(تَعْلَمُونَ) وهي ظاهرة صوتية نعتوها بتلتلة بهراء، بالإمالة والتفخيم كما هو ظاهر.

وقد أشار الدكتور حسن ضياء الدين عتر إلى أن الرازي أخذ مذهب ابن قتيبة ونقحه، وعاب رأي الرازي لأنه اعتمد في بعض أوجهه على القراءات الشاذة[18].

والصواب أن القراءات الشاذة تدخل ضمن الإمكانات التي أباح بها الرسول ﷺ قراءة القرآن بها تيسيرا على العرب في غير لسان قريش، وهي نقلت كثيرا في اللغات واللهجات التي لولا هذه القراءات الشاذة لضاعت واندثرت.

وهذه القراءات الشاذة هي عربية متمكنة في العربية كما أوضح ابن جني في كتابة "المحتسب"، وهي مما توسع فيها العرب أخذا بحديث "اقرأوا القرآن بلحون العرب".

قال ابن جني في المحتسب مدافعا عن القراءات الشاذة: "وضرب تعدى ذلك مما سماه أهل زماننا شاذا، أي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها. إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات في أمامه وورائه، وكثير منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم ربما كان فيه ما تلطف صنعتُهُ وتعتق بغيره وتمطوه قوة أسبابه، وترسو به قدم إعرابه وذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه، وماكنه عليه، وزاد إليه، كأبي الحسن أحمد بن محمد بن شنبوذ وأبو بكر محمد بن الحسن بن المقسم وغيرهما ممن أدى إلى روايات استقواها، وأنحى على صناعة الإعراب رضيها واستعلاها، ولسنا نقول ذلك فسخا، بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن نري وجوه قوة ما يسمى الآن شاذا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجيرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مُرى أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له"[19].

ثم قال بعد أن أشار إلى عدم الكتابة في الاحتجاج للقراءات القرآنية قبله إلا ما كان من أستاذه أبي على الفارسي في كتابه (الحجة في القراءات) والذي خصه بالقراءات الصحيحة، قال ابن جني "فإن أبا علي الفارسي رحمه الله عمل كتاب (الحجة في القراءات) فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفوا عنه كثير من العلماء، ونحن وبالله وله وإليه وهو حسبنا"[20].

ولعل ابن جني فاتته الإشارة إلى كتاب (إعراب القراءات السبع وعللها ومختصر شواذ القرآن) لابن خالويه المتوفى سنة 370هـ.

وقد أشار ابن جني إلى أن أستاذه أبا علي الفارسي كان ينوي الكتابة عن الاحتجاج للقراءات الشاذة، ولكن عوارض الدهر لم تسمح له بذلك فجاء ابن جني فكتب هذا الكتاب الرائع والبديع، لم يسبق إليه مثله ولا لحقه كتاب في الشواذ أهم منه قال: "أعلم أن جميع ما شذ عن قراءة السبعة وشهرتهم مغنية عن تسميتهم ضربان:

ضرب شد عن القراءة، عاريا عن الصنعة، ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله، فلا وجه للتشاغل به، وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعا على جميع كافة القراءات الشاذة، عن قراء السبعة وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صِفَتُهُ وأغربت طريقته"[21].

ويتضح من هذا أن ما كان خطأ من القراءة أو كان سببه الهجر باعتبار أن الرسول ﷺ أوضح أن من أمته القارئ وغير القارئ والغلام والشيخ والعجوز فهذا إذن به للتسيير ولا يعتبر مرجعا كالقراءة الصحيحة، أما الشاذ الفصيح فهو ما كتب عنه ابن جني فقال: "وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته أعني ما شذ عن السبعة وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعول عليه المولي جهة الاشتغال به"[22].

رابعا: نماذج من اللغات في القراءات الصحيحة والشاذة

أ - لغات القراءات الصحيحة:

وفيما يلي أورد نماذج عن اختلاف القراءات القرآنية مما يعود إلى الوجه السابع وهو اختلاف اللهجات في القراءات القرآنية من كتابي (الكشف) لمكي بن أبي طالب القيسي و(شرح الهداية في توجيه القراءات) للمهدوي، اللذين هما موضوع رسالتي للدكتوراه، محاولا عزو اللهجات واللغات إلى القبائل التي نطقت بها إلا ما ضنت به المصادر.

أ- 1/ نماذج من كتاب (الكشف) لمكي:

1) أورد قراءات قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ [البقرة/126]، فقال: "قوله فأمتعه قليلا قرأ ابن عامر مخففا، وشدد الباقون، ووجه التخفيف أنه جعله من (أمتع) وأمتع لغة في (مَتَع) وكلاهما بمعنى"[23]. وقد بين الدكتور عبده الراجحي أن الروايات حين يتحد المثالان (فَعَلَ) و(أفعلَ) في المعنى فإن فَعل لهجة أهل الحجاز وأفعل لهجة التميميين، وعلل ذلك بأن البيئة البدوية تميل إلى السرعة في كلامها، بينما البيئة الحجازية المتحضرة تميل إلى التأني في النطق[24]. وقد أشار سيبويه في الكتاب إلى أنه قد يحسن في العربية فعلت وأفعلت بمعنى واحد[25].

2) أورد قراءات القراء لكلمة (رؤوف) من قوله تعالى: ﴿لَرَؤُوفٌ﴾ [البقرة/168]، فقال: "قوله (لرؤوف) قرآن الحرميان وحفص وابن عامر بواو بعد الهمزة، وقرأه الباقون بغير واو، وهما لغتان"[26]. ولم ينص على اللغتين، والقارئان ابن كثير ونافع من البيئة الحجازية فإن كان صحيحا من أن ما ذكره[27] أبو علي من أن هذا الوزن هو حجة أهل الحجاز فإن ابن كثير ونافعا يكونان ممثلين للهجة بيئتهما الحجازية في هذه الظاهرة[28].

3) أورد قراءات "خُطُوَاتِ" من قوله تعالى: ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطْوَات الشَيطانِ﴾ [الأنعام/142]، فقال: "قرآن ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل بضم الطاء حملا عن

أصل الأسماء، لأن الأسماء يلزمها في الجمع الضم في (غُرْفَةٍ) و(غُرُفاتٍ) فضم خُطُوَاتٍ على الأصل وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ الباقون بإسكان الطاء تخفيفا لاجتماع ضمتين وواو لأنه جمع ولأنه مؤنث، فاجتمع فيه ثقل الجمع وثقل التأنيث وثقل الضمتين والواو فحسن فيه التخفيف"[29]. فحذف الصائت هنا، وهو الضمة التي على الطاء جاء للتخفيف لاستثقالهم توالي الصوائت كما أوضح الدكتور عبده الراجحي[30]. وهي لغة أهل الحجاز كما نص عليها مكي وكما ذكر أبو علي الفارسي[31].

4) أورد قراءات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمُ بِهِ﴾ [النساء/58]، فقال: "قرأ أبو عمرو وأبو بكر وقالون بإخفاء حركة العين وكسر النون ومثله في النساء وقرأه ابن كثير وحفص وورش بكسر العين وفتح النون فيهما، وحجة من قرأ بكسر النون والعين أن الأصل فيه (نَعِم) بفتح النون وكسر العين، لكن حرف الحلق إذا كان عين الفعل وهو مكسور اتبع ما قبله فكسر لكسرة يقولون: شَهِد ويشهد، ولَعَن ويلعن فقالوا: نَعِم وهي لغة هذيل"[32]. والقبائل التي تميل إلى الكسر قيس أوسد بينما تميل القبائل الحجازية إلى الفتح[33].

كما نسب صاحب الإتحاف الكسر إلى نجد[34]. وأبو علي الفارسي أن نِعم لغة هذيل[35].

ونستنتج من هذه النصوص أن مكي بن أبي طالب القيسي يورد القراءات القرآنية مشيرا إلى لغات ولهجات القراء، وقد ينص أحيانا على اللغة مع ذكر العلل الصوتية والصرفية والنحوية لها.

أ – 2/ نماذج في (شرح الهداية) للمهدوي:

وجه المهدوي أيضا القراءات السبع بالإشارة إلى الاختلافات التي ترجع إلى اللهجات، معللا ذلك صوتيا وصرفيا ونحويا، وهو غالبا لا يذكر اللهجة ولا ينص عليها، ويكتفي بالقول بأنها لغات أو لغتان، ونحن هنا نضرب أمثلة لذلك:

1) علل ترك ورش المد في (ءَلْئَنَ) من الآية[36]. فقال: "وعلته في نزك المد من (ءالئن) في الموضعين في سورة يونس أنه أجراه على لغة من اعتد بالحركة فقال: لَحْمَرْ، فلما اعتد بالحركة صار سقوط الهمزة لازما، وأيضا فإنه لما اجتمع في الكلمة همزتان يجب لكل منهما المد، وكانت إحداهما في اللفظ والأخرى مصروفة، ولم يرد الجمع بين مدتين في كلمة، أي المد في الموجودة أولى منه في المفقودة"[37]. ويلاحظ هنا على المهدوي التعليل الصوتي للظاهرة غير أنه لم يرجع إحدى القراءتين على الأخرى كما فعل ذلك غالبا مكي، بل اكتفى بالإشارة إلى أنها اختلافات لهجية ولم

ينص على اللغتين. وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس المد فرأى أنها ظاهرة تكمن في الحرص على ألا يتأثر صوت اللين بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم مجرى الهواء معه حرا طليقا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما، يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة لتمكينه من الاستعداد بالنطق بالهمزة، التي تحتاج إلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين"[38]. كما حقق الدكتور عبده الراجحي أن كتب العربية تجمع على أن تحقيق الهمز في لهجات تميم وقيس وبني أسد، ومن جاورها أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز[39].

2) وأورد قراءات القراء لكلمة "القدس" في النصرة فقال: "القُدُسِ والقُدْسِ لغتان، والعرب تحقق ما جاء على فُعُل نحو كتب ورسل"[40]. وهو يريد هنا أن يشير إلى ظاهرة التحقيق، وهي ظاهرة لهجية عربية تعزى إلى تميم، وقد أشار إليها سيبويه في الكتاب، وهي لغة بكر بن وائل إحدى قبائل تميم[41].

3) أورد قراءات كلمة "الصَّدَفَيْنِ" الكهف من قوله تعالى ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ [الكهف/92]، فقال: "الصُّدْفَيْن لغتان ويقال إنهما أرمينية وأذربيجان"[42]. ولم يعز اللغتين إلى القبائل الناطقة بها، وقد بين صاحب الإتحاف أن "الصُّدُفَيْن" بضم الصاد والدال لغة قريش. وأنهما بالفتح لغة الحجاز[43].

4) أورد قراءات كلمة "شِقْوَتُنَا" من قوله تعالى: ﴿غَلَبَتْ عَلَيِنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون/106]، فقال: "شِقْوتنا وشَقَاوَتُنَا لغتان"[44]. ولم يغز هذه اللغات كعادته، وقد ذكر أبو حيان أن "شِقْوَتنا" لغة أكثر أهل الحجاز وأنها لغة فاشية"[45].

ب ـ نماذج من القراءات الشاذة عند ابن جني.

ونورد هنا ثلاثة نماذج للقراءات الشاذة التي اختلفت بسبب تلاعب العرب بالأعجمي إذ نقلتها إلى لغتها على حد تعبير ابن جني.

1) أورد ابن جني قراءة شاذة لكلمة "الشجرة" من قوله تعالى: ﴿ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَة﴾ [البقرة/35]، فقال: "ومعنى ذلك[46]. قال ابن عباس: سألت أبا عمرو عن "الشِّجرة" فكرهها وقال: يقرأ بها برابر مكة وسودانها.

وقال هارون الأعور عن بعض العرب تقول: الشِّجرة وقال ابن أبي إسحاق لغة بني سليم"[47].

وكما أوضح الدكتور عبده الراجحي فإن القبائل الحجازية تميل إلى الفتح أما قبائل قيس وتميم ونجد فتميل إلى الكسر"[48].

2) أورد قراءات قوله تعالى:﴿يَا بني إسْرائيل اذكروا نعمتي التي أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة/40]، فقال: "ومن ذلك قراءة الحسن والزهري وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي والأغمش: يا بني إسرائيل بغير نعم.

قال أبو الفتح: "إن لم يكن ذلك همزا مخففا فخفي بتخفيفه فعبر عنهُ بترك الهمز، فذلك من تخليط العرب للإسم الأعجمي"[49].

فهذه القراءة ترجع إلى تصرف العربي في اللفظ الأعجمي لأن "إسرائيل" لفظ أعجمي الأصل، وقد اختلفت العرب في النطق به.

وقد أشار الدكتور يحيى علي يحيى المباركي إلى أن أهل التخفيف (أي التسهيل) للهمز هم الحجازيون وأهل التحقيق هم التميميون"[50].

3) نقل ابن جني قراءات شاذة لكلمة (جبريل) في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوا لجبريل﴾ [البقرة/48].

فقال: "ومن ذلك قراءة يحيى بن يعمر جبريل، مشددة اللام بوزن "جَبْرَعِل" وعنه أيضا وعن فياض بن غزوان (جَبْرَائِيلَ) بوزن (جبراعيل) بهمزة بعد الألف، وبهذا الوزن بياءين عن الأعمش، وميكاييل من غير همز أيضا ممدود، وقرأة: مِيكَئِلَ بوزن ميكعيل ابن هرمز الأعرج وابن محيصن.

قال أبو الفتح: أما على الجملة فقد ذكرنا في كتابنا هذا، وفي غيره أن العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه، وأنشدنا في ذلك ما أنشدنا أبو علي في قول الراجز:

هَلْ تَعْرِف الدَّار الأمَ الحَزْرَجِ   مِنْهَا فَظَلَّتْ اليَوْمَ كالمزريج

يريد الذي يشرب الزرجون وهي الخمر وإن كان القياس المزارجن من حيث كانت النون من الزرجون أصلية..."[51].

وهو يشير هنا إلى تخليطهم في نطق جبريل وميكائيل كتخليط هذا العربي في الزرجون التي هي لفظ أعجمي.

الهوامش:

[1]- القاموس المحيط، الفيرز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420ه/1999م، مادة (حرف)، ص 719.

[2]- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، القاهرة، مكتبة المقدمي، ب ط، 1994، كتاب التفسير، باب القراءات وكم أنزل القرآن على حرف، حديث رقم: 11578، ج7، ص 15.

[3]- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار الكتب العلمية، ب ط، 1991، كتاب افتتاح الصلاة، جامع ما جاء في القرآن، رقم الحديث: 1012، ج1، ص 326.

[4]- الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان، محمد ابن حيان البستي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988م، كتاب العلم، حديث رقم: 75، ج1، ص 276.

[5]- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر، المغرب، وزارة الأوقاف، د ط، 1387ه، ج8، ص 282.

[6]- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د ط، 1998، أبواب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: 2944، ج5، ص 44.

[7]- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق سعيد الأرناوارط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، مسند الكبيرين من الصحابة، رقم الحديث: 4252، ج7، ص 283.

[8]- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، من الشاميين، رقم الحديث: 17819، ج29، ص 353.

[9]- تأويل مشكلة القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1401ه-1981، 36-38.

[10]- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، ط1، 2000م، مؤسسة الرسالة، ج1، ص 47.

[11]- جامع البيان في تأويل القرآن 48/1.

[12]- المصدر السابق 1/ص 66.

[13]- جهود أبي عبيد القاسم بن لاسم، الدكتور أحمد بن فارس الشلوم، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1427ه-2006م/167.

[14]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1427ه-2006م، ج136/1.

[15]- ينظر: الأحرف السبعة وارتباطها بالقراءات القرآنية، فتحي بن الطيب الخماسي دار المعرفة دمشق، ط1، 1415ه-1995م، ص 95 وما بعدها.

[16]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، تحقيق علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1433ه-2002م، ج1، ص 28.

[17]- المصدر السابق 28/1.

[18]- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1409ه-1988م، ص 60.

[19]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه-1998م، ج1، ص 102-103.

[20]- المصدر السابق 105/1-106.

[21]- المصدر السابق 106/1-107.

[22]- المحتسب 107/1.

[23]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعليها وحجمها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق، الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418ه-1997م، ج1، ص 265.

[24]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1/ 1999م/ 208.
[25]- الكتاب، سيبويه تحقيق، عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط1403/3ه-1983م 380/1.
[26]- الكشف 268/1.
[27]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن أحمد عبد الغفار الفاريس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1428ه-2001م، 385/1.
[28]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، 204.
[29]- الكشف 173/1-174.
[30]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية /287.
[31]- ينظر الحجة 407/1.
[32]- الكشف 316/1
[33]- ينظر اللهجات العربية من القراءات القرآنية، د/عبده الراجحي/142.
[34]- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر أحمد بن محمد النبا، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط1/ 1407ه-1987م، ج455/1.
[35]- الحجة 480/1.
[36]- قوله تعالى عن فرعون ﴿آلآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وكُنْتَ مِنَ المفْسِدِين﴾ يونس/91.
[37]- شرح الهداية في توجيه القراءات، أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق ودراسة الدكتور حازم سعيد حيدر مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1416ه-1995م، ج1/ص 39.
[38]- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط5، 1979/ص 158.
[39]- ينظر اللهجات العربية من القراءات القرآنية/ص 158.
[40]- شرح الهداية 175/1.
[41]- الكتاب 113/4.
[42]- شرح الهداية 404/1.
[43]- الإتحاف 227/2
[44]- شرح الهداية 437/2.
[45]- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ب ط)، 1426ه-2005م، 586/7.
[46]- أمي من القراءة الشاذة
[47]- المحتسب 156/1.
[48]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 249.
[49]- المحتسب 162/1.
[50]- ينظر أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو، الدكتور يحيى علي يحيى المباركي، ص 500.
[51]- يالمحتسب 181/1.